

الغيوم تشرب وتمها وترحل

كُتبت في : عمان - ايلول سنة ١٩٧٠ ، بيروت - ايار سنة ١٩٧٣ ، وفي سائر الاشهر والعواصم العربية .

(١)

عبرتك آسية التي تمتدّ خلف مدارها قدماءك - آنية
لدمعك سوف تشربها وترحل ثم ترحل في يديك
جزيرة العرب .

عبرتك جارحة مع اللفة التي دمّرتها
وعرّضت في سوق المدينة جثة الكلمات (جنتك القديمة)
هل تظل مشرداً؟

في أفقر الاحياء مثل ابيك حين يبيع رايته ويرهن ثدي
أمك بالرغيف ويشترى

سببا لحزنك او لموتك - سوف تلفظك المدينة او
يضيق هواؤها في الصدر : لا يتنفس الفقراء في مدن
النحاس ولا يسيل على شوارعها

الا لعابك : خاسرا ابدا وخاسرة دموعك حين تقذفها
على المريخ تقذفها على عتبات آلهة من الخرف .

ستظل محنياً كسارية على كل الموانئ ترتديك نوارس
البحر القديم ويرتمي

صدا الشموس الهاربات بجفئك الرمدي حيث تعرّش
الاحزان بين الدمع واللهب .

: (لا عشب ينمو فوق هذا القبر) - تسأل نفسها في الليل
آسية وتشرب حزنها الدهري تترك في قرار الكأس
شارتها الكئيبة ثم تشتعل .

ونبيها المقتول قبل الفجر في برية موصولة الفلوات
يركب مهره الناري ثم تضمه السبل .

هذا سرابك فوق وادي الموت لم يهطل : سرابك غيمة
حجرية بيضاء قاسية . . ونعطش سيدي ونظّل نعطش
ثم نعطش ثم نعطش والرياح شهية

والارض ترفع ساعداً كالأه نحو الشمس تبتهل .
كل المنافذ سوف تقفلها المدينة او يصكّ غبارها شفطيك
يشرب قلبك الاسفلت حتى القاع - لا تؤويك غير
مساحة تمتد من خلفية الوطن المعلق بين أحذية

الجنود وبين ذاكرة كاحذية الجنود - وحين تقبل من
خرائبك الشهية نحوها ، تبتلّ مثل الدمع آسية وتفتح
بابها وتقول : « يا ولداه » - تفرق أنت في دمك
الموزع في الخزائن أو على الطرقات حيث تضمك
الريح التي تؤويك والجبل .

كم ذا وقفت على ضفاف الموت ثم تكلّست حدقاتك
الكروية الصفراء : لا جسد السواقي ابتلّ فيه الماء
- لا حورية تأتي وتركض خلفها عذرية الاعشاب ،
والمدن التي اكتملت بكارتها تتلمّس الفرسان والفرسان
قد رحلوا

(موال) أوف

يا راحلين ارجعوا دمعي عليكم سيل
والريح جمرأ بتحرق لساني
مرهون قلبي بكم بيكل لفته خيل
والخيل مربوطه بشرياني
تشرب غيوم السما والشمس حبة هيل
سودا كبيرى بحجم احزاني
بنقط على ضلعي هموم الليل
بفنيها وبحكى عن وطاني -

من أين تقبل هذه الاحزان حين تمرّ آسية وتنشر
فوقها جسدا من الاطفال ، تلبس حزنها وتضمه مثل
انهمار الماء في خلد الجزيرة حين تصرخ : « اطعمينا »
ثم لا تتقدّم الريح الخبيثة لا يعود سوى الصدى .
من أيّ منعطف الجحيم يطلّ فارسها الرجيم ويحمل
الغرباء

يفرس في جماجمهم بريق حدائه الدموي - او قطرية للدمع
هل يطأ المهاجر غير أحذية الجنود وغير سافية الردى؟
ملعونة خطوات هذي الريح فوق مقابر الاحياء والموتى
وفاجرة اصابعها التي يكتظ فيها الصوت يحتقن
الصدى .

لا شيء يعبر غير آسية التي تمتدّ خلف مدارها قدماءك
تسقط أنت في دمها
ويشتعل المدى .

محمد علي شمس الدين